

سورة الإسراء

معاني الكلمات :

سبحان : تزيها لله . أسرى : جعل البراق يسرى به ﴿١﴾ ليلاً .

آياتنا : عجائب قدرتنا . فجاسوا : فترددوا لطلبكم باستقصاء .

خلال : وسط . الكرة : الدولة والغلبة .

أكثر نفيرا : أكثر عدداً أو عشيرة من أعدائكم .

ليسوؤوا وجوهكم : ليحزنوكم حزناً يظهر على وجوهكم .

ليتبروا : ليهلكوا ويدمروا .

ماعلوا : ما استولوا عليه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على حكمة الإسراء بالنبي ﷺ .
- ٢ - أن نعلم أهمية المسجد الأقصى في مسيرة الدعوة الإسلامية .
- ٣ - أن نقف على إفساد بنى إسرائيل في الأرض وعقاب الله لهم .

المحتوى التربوي :

تبدأ الآيات بالحديث عن معجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لخاتم الأنبياء والمرسلين ودليلاً واضحاً على قدرة الله عز وجل - في صنع العجائب والغرائب ، حيث نقله - تعالى - بقدرته ليلاً في وقت قصير بالبراق من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس (تلك معجزة الإسراء) ثم صعد به إلى السماء ليطلعه على عجائب قدرته (وتلك معجزة المعراج) .

وتذكر صفة العبودية في مقام الإسراء والعروج إلى الدرجات التي لم يبلغها بشر ؛ وذلك كي لا ننسى هذه الصفة، ولا يلبس مقام العبودية بمقام الألوهية .

والرحلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى رحلة مختارة من اللطيف الخبير ، تربط بين عقائد التوحيد الكبرى من لندن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، إلى محمد خاتم النبيين ﷺ ، وتربط بين الأماكن المقدسة لديانات التوحيد جميعا ، يقول صاحب الظلال : « وكأنها أريد بهذه الرحلة العجيبة إعلان وراثته الرسول الأخير لمقدسات الرسل قبله ، واشتغال رسالته على هذه المقدسات ، وارتباط رسالته بها جميعا ، فهي رحلة ترمز إلى أبعد من حدود الزمان والمكان » .

قال الشوكاني : « الذى دلت عليه الأحاديث الصحيحة الكثيرة هو ما ذهب إليه معظم السلف والخلف من أن الإسراء بجسده وروحه يقظة إلى بيت المقدس ثم إلى السموات ، ولا حاجة إلى التأويل وصرف هذا النظم القرآنى وما يباثله من ألفاظ الأحاديث إلى ما يخالف الحقيقة » .

والإسراء آية صاحبها آيات ، وما أحسن ما قاله ابن إسحاق : « كان في مسراه ﷺ وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولى الألباب ، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق ، وكان من أمر الله سبحانه وتعالى على يقين ، فأسرى به - سبحانه وتعالى - كيف شاء ليريه من آياته ما أراد ، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم ، وقدرته التى يصنع بها ما يريد » .

ورحلة الإسراء نقلة عجيبة بالقياس إلى مألوف البشر ، والمسجد الأقصى هو طرف الرحلة ، والمسجد الأقصى هو قلب الأرض المقدسة التى أسكنها الله بنى إسرائيل ثم أخرجهم منها .

ويتنقل السياق إلى ذكر كتاب موسى - التوراة - وما اشتمل عليه من إنذار لبنى إسرائيل وتذكير لهم بجدهم الأكبر - نوح - العبد الشكور ، وآبائهم الأولين الذين حملوا معه في السفينة ، ولم يحمل معه إلا المؤمنون ، ذلك الإنذار وهذا التذكير مصداق لوعده الله ألا يعذب الله قوما حتى يبعث إليهم رسولا ينذرهم ويذكرهم فلا يعتمدوا إلا على الله وحده ، ولا يتجهوا إلا إلى الله وحده ، فهذا هو الهدى ، وهذا هو الإيثار ، وفي ذلك الكتاب الذى آتاه الله لموسى ليكون هدى لبنى إسرائيل ، أخبرهم بما قضاه عليهم من تدميرهم بسبب إفسادهم في الأرض ، وتكرار هذا التدمير مرتين لتكرر أسبابه من أفعالهم ، وأنذرهم بمثله كلما عادوا إلى الإفساد في الأرض ، تصديقا لسنة الله الجارية التى لا تتخلف .

ولقد قضى الله لبنى إسرائيل في الكتاب الذى آتاه موسى أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ، وأنهم سيعلمون في الأرض المقدسة وسيطرون ، وكلما ارتفعوا فاتخذوا الارتفاع وسيلة للإنسان سلط عليهم من عباده من يقهرهم ويستبيح حرماهم ويدمرهم تدميرا ؛ المرة الأولى : يعلمون في

الأرض المقدسة ، ويصبح لهم فيها قوة وسلطان ، فيفسدون فيها فيبعث الله عليهم عبادة من عباده أولى بأس شديد، وأولى بطش وقوة ، يستبيحون الديار ، ويروحون فيها ويغدون باستهتار ، ويطؤون ما فيها ومن فيها بلا تيبب ، وكان وعداً مفعولاً لا يخلف ولا يكذب .

يقول صاحب الظلال : « حتى إذا ذاق بنو إسرائيل ويلات الغلب والقهر والذل ، فرجعوا إلى ربهم، وأصلحوا أحوالهم وأفادوا من البلاء المسلط عليهم، وحتى إذ استعل الفاتحون وغرتم قوتهم ، فطغوا هم الآخرون وأفسدوا في الأرض أدال الله للمغلوبين من الغالبيين ، ومكن للمستضعفين من المستكبرين ثم تكرر القصة من جديد . »

ولم يذكر السياق ما وقع من بنى إسرائيل بعد الكرة من إفساد في الأرض ، اكتفاء بذكره من قبل ، ويثبت ما يسلمه عليهم في المرة الآخرة بما يرتكبونه معهم من نكال يملأ النفوس بالإساءة حتى تفيض على الوجوه ، ويستبيحون المقدسات ويستهنون بها ، ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار .

ولقد صدقت النبوة ووقع الوعد ، فسلط الله على بنى إسرائيل من قهرهم أول مرة ... ثم سلط عليهم من شردهم في الأرض ودمر ملكتهم تدميراً ولا ينص القرآن على جنسية هؤلاء الذين سلطهم على بنى إسرائيل ؛ لأن النص عليها لا يزيد في العبرة شيئاً ، والعبرة هي المطلوبة هنا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

١ - معجزة الإسراء والعروج من المعجزات التي أيد الله بها نبيه ﷺ وهي من دلائل قدرة الله ، ووجه لنبيه ﷺ .

٢ - العبودية لله أرقى درجات القرب من الله تعالى .

٣ - النعمة تقتضى شكراً ، فإذا يقص الله علينا ما عاقب به بنى إسرائيل لكفرهم ، فإنه يعرفنا بذلك على سنته فيمن لم يشكر .

وفي ذلك تربية لهذه الأمة التي سيعطيها الله بيت المقدس وما حوله ، والتي أنزل عليها كتاباً هادياً ، وأرسل لها رسولا بالآيات ألا تكفر النعمة فتسلب ، وكفرائها بالنعمة إنما هو بكفرها بمحمد ﷺ وكفرها بدينه وعدم التزامها بشريعته .

٤ - ضرورة العمل من أجل تحرير المسجد الأقصى وإعادته .

٥ - البعد عن الإفساد في الأرض حتى لا ننال العقاب الإلهي .

ويتنقل السياق إلى القرآن ، القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ، وهكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم ، فيشمل الهدى أقواما وأجيالا بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدى إليه البشر في كل زمان ومكان .

ويهدى للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء .

يهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعا واستمتاعا بالحياة .

ويهدى للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تملى وتيأس من الوفاء ولا تسهل وترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار ، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

ويهدى للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض : أفراداً وأزواجا ، وحكومات وشعوبا ، ولا تميل مع المودة والشنان ، ولا تصرفها المصالح والأغراض .

ويهدى للتي هي أقوم في تبنى الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرمتها ، فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووثام .

ويشير القرآن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم أجراً كبيراً ألا وهو الجنة . كما يخبر الذين لا يؤمنون بالآخرة أن الله تعالى هيا لهم عذاباً أليماً في جهنم ، وهذه هي قاعدته الأصلية في العمل والجزاء ، فعلى الإيمان والعمل الصالح يقيم بناءه ، فلا إيمان بلا عمل ، ولا عمل بلا إيمان ، الأول مبتور لم يبلغ تمامه ، والثاني مقطوع لا ركيزة له ، وبها معا تسير الحياة على التي هي أقوم .

ويخبر السياق عن الإنسان في ضعفه وقلة إدراكه لعواقب الأمور من أنه إذا ضجر أو غضب يدعو على نفسه وأهله بالشر غير مفكر في عاقبة دعائه لو استجاب الله تعالى له ، يدعو بالشر كدعائه بالخير ، ذلك أنه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها ، فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهادئ الهادي ؟ ألا إنها طريقان مختلفان : شتان شتان بين هدى القرآن وهوى الإنسان .

ثم ينتقل السياق إلى آيات الله الكونية في هذا الوجود ، يربط بها نشاط البشر وأعمالهم ، وجهدهم وجزاءهم ، وكسبهم وحسابهم ، فإذا نواميس العمل والجزاء والكسب والحساب مرتبطة أشد الارتباط بالنوانيس الكونية الكبرى ، قائمة على قواعد وسنن لا تتخلف .

فالناموس الكوني الذي يحكم الليل والنهار يرتبط به سعى الناس للكسب وعلم السنين للحساب ، ويرتبط به كسب الإنسان من خير وشر وجزاؤه على الخير والشر ، وترتبط به عواقب

الهدى والضلال ، وفردية التبعة فلا تزرُ وازرة وزر أخرى ، ويرتبط به وعد الله ألا يعذب حتى يبعث رسولا ، وترتبط به مصائر الذين يطلبون العاجلة ، والذين يطلبون الآخرة وعطاء الله لهؤلاء وهؤلاء في الدنيا والآخرة ، كلها ترضى وفق ناموس ثابت وسنن لا تتبدل ، ونظام لا يتحول فليس شيء وليس أمر في هذا الوجود متروكا للمصادفة والجزاف ، ودقة الناموس الذى يصرف الليل والنهار ناطقة بدقة التدبير والتفصيل ، وهى عليه شاهد ودليل .

ثم تذكر الآيات أن كل إنسان مسؤول عن عمله الذى سيكون محمداً لمصيره في الآخرة ، فعمله لا يتخلف عنه وهو لا يملك التملص منه ، فعمله مكشوف لا يملك إخفاءه ، أو تجاهله أو المغالطة فيه ، وبذلك الناموس الكونى الدقيق ترتبط قاعدة العمل والجزاء ، فهى التبعة الفردية التى تربط كل إنسان بنفسه ، إن اهتدى فلها ، وإن ضل فعليها ، وما من نفس تحمل وزر أخرى ، وما من أحد يخفف حمل أحد ، إنما يسأل كل عن عمله ، ويجزى كل بعمله ، ولا يسأل حميم حميماً .

وقد شاءت رحمة الله ألا يأخذ الإنسان بالآيات الكونية المبثوثة في صفحات الوجود ، وألا يأخذه بعهد الفطرة الذى أخذه على بنى آدم في ظهور آبائهم ، إنما يرسل إليهم الرسل منذرين ومذكرين ، وهى منة من الله أن يعذر إلى العباد قبل أن يأخذهم بالعذاب .

كذلك تضى سنة الله في إهلاك القرى وأخذ أهلها في الدنيا ، فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك فكثرت فيها المترفون ، فلم تدافعهم ولم تضرب على أيديهم ، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها فعم فيها الفسق ، فتحللت وترهلت فحققت عليها سنة الله ، وأصابها الدمار والهلاك ، وهى المسئولة عما يجلب بها ؛ لأنها لم تضرب على أيدي المترفين ، ولم تصلح من نظامها الذى يسمح بوجود المترفين .

يقول صاحب الظلال : « وهنا تبرز تبعة الجماعة في ترك النظم الفاسدة تنشع آثارها التى لا مفر منها ، وعدم الضرب على أيدي المترفين فيها كى لا يفسقوا فيها فيحق عليها القول فيدمرها تدميراً ، هذه السنة قد مضت في الأولين من بعد نوح ، قرنا من بعد قرن كلما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير » .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - القرآن الكريم يهذى إلى أحسن الطرق وأعدلها .
- ٢ - توجيه النظر إلى الآيات الكونية واستخراج الحكمة من إيجادها .
- ٣ - كل إنسان مسجل عليه عمله ، ومسؤول عنه وحده .
- ٤ - الفسق وعدم الطاعة يؤديان إلى إهلاك الأمم .
- ٥ - للحياة البشرية نواميس لا تتخلف وسنن لا تتبدل ، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج .

معانى الكلمات :

يصلى : يدخل .

مدحورا : مطروداً .

مخطورا : ممنوعا .

مخدولا : غير منصور .

قضى : أمر وألزم .

أف : كلمة تضرع وكراهية وضيق .

تنهر : تزجر .

اخفض : ألن .

للأوابين : للتوايين .

كفوراً : شديد الجحود لنعمة الله عليه .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن الحياة للآخرة هي الحياة اللائقة بالإنسان الكريم على الله .
- ٢ - أن نتعرف على أهمية إخلاص العبادة لله وحده والإحسان إلى الوالدين .
- ٣ - أن نتنبه إلى البذل والإنفاق وبخاصة على الأقارب والمساكين وأبناء السبيل .
- ٤ - أن نحذر من التبذير والإسراف .

المحتوى التربوي :

إن من أراد أن يعيش هذه الدنيا وحدها ، فلا يتطلع إلى أعلى من الأرض التي يعيش فيها ، فإن الله يجعل له حظه في الدنيا حين يشاء ، ثم تنتظره في الآخرة جهنم عن استحقاق ، فالذين لا يتطلعون إلى أبعد من هذه الأرض يتلطفون بوحلها ودنسها ورجسها ، ويستمتعون فيها كالأنعام ، ويستسلمون فيها للشهوات والتزغات ، ويرتكبون في سبيل تحصيل اللذة الأرضية ما يؤدي بهم إلى جهنم .

والذي يريد الآخرة لا بد أن يسعى لها سعيها فيؤدي تكاليفها ، وينهض بتبعاتها ، ويقوم سعيه لها على الإيثار وليس الإيثار بالتمنى ولكن ما وفر في القلب وصدقه العمل ، والسعى للآخرة لا يحرم المرء من لذات الدنيا الطيبة ، إنها يمد بالبصر إلى آفاق أعلى فلا يكون المتاع في الأرض هو

الهدف والغاية ، ولا ضير بعد ذلك من المتاع حين يملك الإنسان نفسه ، فلا يكون عبداً لهذا المتاع ، وإذا كان الذى يريد العاجلة ينتهى إلى جهنم مذموماً مدحوراً ، فالذى يريد الآخرة ويسعى لها سعيها ينتهى إليها مشكوراً يتلقى التكريم فى الملأ الأعلى جزاء السعى الكريم لهدف كريم .

يقول صاحب الظلال : « إن الحياة للأرض حياة تليق بالديدان والزواحف والحشرات والحوام والوحوش والأنعام ، فأما الحياة للآخرة فهى الحياة اللانقة بالإنسان الكريم على الله ، الذى خلقه فسواه وأودع روحه ذلك السر الذى يتزع به إلى السماء وإن استقرت على الأرض قدماء » .

على أن هؤلاء وهؤلاء إنما ينالون من عطاء الله ، وعطاء الله لا يحظره أحد ولا يمنعه ، والتفاوت فى الأرض ملحوظ بين الناس بحسب وسائلهم وأسبابهم واتجاهاتهم وأعمالهم ، ومجال الأرض ضيق ورقعة الأرض محدودة ، فكيف بهم فى المجال الواسع ، كيف بهم فى الآخرة التى لا تزن فيها الدنيا كلها جناح بعوضة ؟ فمن شاء التفاوت الحق ومن شاء التفاضل الضخم فهو هناك فى الآخرة ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

ثم ينتقل السياق إلى درس تربط فيه قواعد السلوك والآداب والتكاليف الفردية والاجتماعية إلى العقيدة فى وحدة الله ، كما تربط بهذه العروة الوثقى جميع الروابط وتشد إليها كل الوشائج فى الأسرة وفى الجماعة وفى الحياة .

يبدأ الدرس بالنهى عن الشرك والتحذير من عاقبته ، والأمر عام ولكن وجه إلى المفرد ليحس كل أحد أنه أمر خاص به ، صادر إلى شخصه ، فالاعتقاد مسألة شخصية ، مسؤول عنها كل فرد بذاته ، والعاقبة التى تنتظر كل فرد يجحد عن التوحيد أن يقعد مذموماً بالفعللة الذميمة التى أقدم عليها مخذولاً لا ناصر له ، ومن لا ينصره الله فهو مخذول وإن كثر ناصروه .

ويأتى أمر التوحيد بعد النهى عن الشرك أمرًا فى صورة قضاء ، فهو أمر حتمى حتمية القضاء ، وإذا وضعت القاعدة ، وأقيم الأساس جاءت التكاليف الفردية والاجتماعية ولها فى النفس ركيزة من العقيدة فى الله الواحد ، توحد البواعث والأهداف من التكاليف والأعمال .

والرابطة الأولى بعد رابطة العقيدة ، هى رابطة الأسرة ، ومن ثم يربط السياق بر الوالدين بعبادة الله ، قال القاشانى :

« قرن - سبحانه وتعالى - إحسان الوالدين بالتوحيد وتخصيصه بالعبادة لكونها مناسبين للحضرة الربوبية ، لتربيتها إياك عاجزاً صغيراً ضعيفاً لا قدرة لك ولا حراك بك ، وهما أول مظهر ظهر فيه آثار صفات الله تعالى من الإيجاد والربوبية ، والرحمة والرأفة بالنسبة إليك ، ومع ذلك فإنها محتاجان إلى قضاء حقوقهما ، والله غنى عن ذلك ، فأهم الواجبات بعد التوحيد إذا إكرامهما والقيام بحقوقهما ما أمكن » .

ويستجيش القرآن الكريم وجدان البر والرحمة فى قلوب الأبناء ، ذلك أن الحياة وهى مندفعة فى طريقها بالأحياء ، توجه اهتمامهم القوى إلى الأمام إلى الذرية إلى الناشئة الجديدة إلى الجيل

المقبل ، وقلما توجه اهتمامهم إلى الوراء ، إلى الأبوة ، إلى الحياة المولية ، إلى الجيل الذاهب ، ومن ثم تحتاج البنوة إلى استجاشة وجدانها بقوة لتنعطف إلى الخلف ، وتلتفت إلى الآباء والأمهات ، لتتذكر واجب الجيل الذي أنفق رحيقه كله حتى أدركه الجفاف .

ثم يأخذ السياق في تظليل الجو كله بأرق الظلال ، وفي استجاشة الوجدان بذكريات الطفولة ومشاعر الحب والعطف والحنان ، ويخص سبحانه حالة الكبر ، والكبر له جلاله ، وضعف الكبر له إيماؤه ، فإذا كانا كلَّينِ على ولدهما ، ولا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق عليه ، فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق ، حتى لا يقول لهما إذا أضجره شيء منهما أف ، وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضييق وما يشي بالإهانة وسوء الأدب ، فمرتبة القول الحسن وما يشي بالإكرام والاحترام أعلى إيجابية .

ويبلغ التعبير أقصاه ويمس شغاف القلب وحنايا الوجدان بأن يجعل الرحمة ترق وتلطف حتى لكأنها الدل الذي لا يرفع عيننا ولا يرفض أمراً ، وكأنها للدلل جناح يخفضه إيذاناً بالسلام والاستسلام .

قال الزمخشري : « لا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها ، وادع الله بأن يرحمهما رحمة الباقية جزاء لرحمتها عليك في صغرك وتربيتها لك » .

فهى الذكرى الحانية ، ذكرى الطفولة الضعيفة يرهاها الوالدان ، وهما اليوم في مثلها من الضعف والحاجة إلى الرعاية والحنان ، وهو التوجه إلى الله أن يرحمهما فرحة الله أوسع ، ورعاية الله أشمل .

ولأن الانفعالات والحركات موصولة بالعقيدة في السياق ، فإنه يعقب على ذلك برجع الأمر كله لله الذي يعلم النوايا ، ويعلم ما وراء الأقوال والأفعال ليفتح باب التوبة والرحمة لمن يخطئ أو يقصر ، ثم يرجع فيتوب من الخطأ والتقصير ، وما دام القلب صالحاً ، فإن باب المغفرة مفتوح .

ثم يمضى السياق بعد بر الوالدين إلى ذوى القربى أجمعين ، ويصل بهم المساكين وابن السبيل متوسعا في القربات حتى تشمل الروابط الإنسانية بمعناها الكبير .

وينهى القرآن عن التبذير ، وليس هو الكثرة والقلّة في الإنفاق ، إنما هو موضع الإنفاق ، ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين لأنهم ينفقون في الباطل والشر والمعصية فهم رفقاء الشياطين وصحابهم .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويّاً :

١ - التفاضل الحق في الحرص على الآخرة لا في متاع الدنيا القليل الهزيل .

٢ - وجوب توحيد الله والإحسان إلى الوالدين .

٣ - الحث على الإنفاق والتحذير من التبذير .

٤ - حق النعمة أن تؤدي في طاعة الله تعالى .

معاني الكلمات :

ميسورا : سهلا . محسورا : منقطعاً .

بيسط : يوسع ويكثر . يقدر : يضيق .

إملاق : فقر . خطأ : إثماً . أشده : قوته .

القسطاس : الميزان .

تأويلا : عاقبة . تقف : تتبع .

مرحا : فخرا .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نعلم أن التوازن هو قاعدة الإسلام الكبرى .

٢ - أن نعرف أن العقيدة لا يمكن أن تعيش في معزل عن الحياة .

٣ - أن نسلم بحرمة العرض والنفس والمال خاصة مال اليتيم .

٤ - أن نحرص على أمانة التعامل ونظافة القلب .

٥ - أن نعلم أن عقيدة الإسلام عقيدة الوضوح فلا يقوم شيء فيها على الظن .

٦ - أن نجتنب ذميمة الفعال .

المحتوى التربوي :

إذا لم يجد إنسان ما يؤدي به حق ذوى القربى والمساكين وابن السبيل واستحيا أن يواجههم ، وتوجه إلى الله يرجو أن يرزقه ويرزقهم فليعدهم إلى ميسرة ، وليقل لهم قولاً لنا ، فلا يضيق بهم صدره ، ولا يسكت ويدعهم فيحسوا بالضيق في سكوته ، ففى القول الميسور عوض وأمل وتجميل .

والتوازن هو القاعدة الكبرى في النهج الإسلامى ، والغلو كالالتفريط يخل بالتوازن ، والتعبير هنا يجرى على طريقة التصوير ، فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العتق ، ويرسم الإسراف يداً مسبوطة كل البسط لا تمسك شيئاً ، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة الملموم المحسور ، والحسير في اللغة : الدابة تعجز عن السير فتقف ضعفاً وعجزاً ، فكذلك البخل يحسره بخله فيقف ، وكذلك المسرف ينتهى به سرفه إلى وقفة الحسير ملوماً في الحالتين على البخل وعلى السرف ، وخير الأمور الوسط .

ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرازق هو الله يبسط الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر ، ويقدر الرزق لمن يشاء عن خبرة وبصر .



ولما قرر السياق أن الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، كان من المناسب أن يتبعه بالنهي عن قتل الأولاد خشية الإملاق ، فما دام الرزق بيد الله فلا علاقة إذن بين الفقر وكثرة النسل أو نوع النسل ، إنها الأمر كله لله .

يقول صاحب الظلال : « إن انحراف العقيدة وفسادها ينشئ آثاره في حياة الجماعة الواقعية ، ولا يقتصر على فساد الاعتقاد والطقوس التعبدية ، وتصحيح العقيدة ينشئ آثاره في صحة المشاعر وسلامتها ، وفي سلامة الحياة الاجتماعية واستقامتها ، وهذا المثل من وأد البنات مثل بارز على آثار العقيدة في واقع الجماعة الإنسانية ، وشاهد على أن الحياة لا يمكن إلا أن تتأثر بالعقيدة وأن العقيدة لا يمكن أن تعيش في معزل عن الحياة » .

وينتقل السياق من النهي عن قتل الأولاد إلى النهي عن الزنا ، وبين قتل الأولاد والزنا صلة ومناسبة - وقد توسط النهي عن الزنا بين النهي عن قتل الأولاد والنهي عن قتل النفس لذات الصلة وذات المناسبة ؛ ففي الزنا قتل من نواحي شتى ، إنه قتل ابتداء لأنه إراقة لمادة الحياة في غير موضعها ، يتبعه غالباً الرغبة في التخلص من آثاره بقتل الجنين قبل أن يتخلق ، قبل مولده أو بعد مولده ، فإذا ترك الجنين للحياة ترك في الغالب لحياة شريرة أو حياة مهينة ، فهي حياة مضیعة في المجتمع على نحو من الأنحاء .

وهو قتل في صورة أخرى ، قتل للجماعة التي يفشو فيها فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العرض والولد ، وهو قتل للجماعة من جانب آخر ؛ إذ إن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافذة لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لا داعى إليها ، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة .

يقول صاحب الظلال : « وما من أمة فشت فيها الفاحشة إلا صارت إلى انحلال منذ التاريخ القديم إلى العصر الحديث ، وقد يفر بعضهم أن أوروبا وأمريكا تملكان زمام القوة المادية اليوم مع فشو هذه الفاحشة فيهما ، ولكن آثار هذا الانحلال في الأمم القديمة منها كفرنسا ظاهرة لا شك فيها ، أما في الأمم الفتية كالولايات المتحدة فإن فعلها لم تظهر بعد آثاره بسبب حداثة هذا الشعب واتساع موارده كالشباب الذي يسرف في شهواته فلا يظهر أثر الإسراف في بنيته وهو شاب ، ولكن سرعان ما يتحطم عندما يدلف إلى الكهولة ، فلا يقوى على احتمال آثار السن كما يقوى عليها المعتدلون من أئداده » .

والقرآن يحذر من مجرد مقاربة الزنا وهي مبالغة في التحرز ؛ لأن الزنا تدفع إليه شهوة عنيفة ، فالتحرز من المقاربة أضمن فعند المقاربة من أسبابه لا يكون هناك ضمان ، ويختم النهي عن قتل الأولاد وعن الزنا بالنهي عن قتل النفس إلا بالحق .

يقول صاحب الظلال : « والإسلام دين الحياة ودين السلام ، فقتل النفس عنده كبيرة تلى الشرك بالله ، فإله واهب الحياة ، وليس لأحد غير الله أن يسلبها إلا بإذنه وفي الحدود التي يرسمها ، وكل نفس هي حرم لا يمس وحرام إلا بالحق ، وهذا الحق الذي يبيح قتل النفس محدود لا غموض فيه ، وليس متروكا للرأى ولا متأثراً بالهوى ، وقد جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والزاني المحضن والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فأما الأولى : فهي القصاص العادل الذي إن قتل نفسا فقد ضمن الحياة لنفوس .

وأما الثانية : فهي دفع للفساد القاتل في انتشار الفاحشة .

وأما الثالثة : فهي دفع للفساد الروحي الذي يشيع الفوضى في الجماعة ، ويهدد أمنها ونظامها الذي اختاره الله لها ، ويسلمها إلى الفرقة القاتلة ، والتارك لدينه المفارق للجماعة إنما يقتل لأنه اختار الاسلام لم يجبر عليه ، ودخل في جسم الجماعة المسلمة ، واطلع على أسرارها ، فخروجه بعد ذلك عليها فيه تهديد لها .

تلك الأسباب الثلاثة المبيحة للقتل ، فمن قتل مظلوما بغير واحد من تلك الأسباب ، فقد جعل الله لوليه - وهو أقرب عاصب إليه - سلطانا على القاتل ، إن شاء قتله وإن شاء عفا على الدية ، وإن شاء عفا عنه بلا دية ، فهو صاحب الأمر في التصرف في القاتل ، لأن دمه له ، وفي مقابل هذا السلطان الكبير ينهيه الإسلام عن الإسراف في القتل ، فهو منصور بقضاء الله له وتأييد الشرع ونصرة الحاكم فليكن عادلا في قصاصه ، وكل السلطات تناصره وتأخذ له بحقه .

وبعد أن ينتهي السياق من حرمة العرض والنفس يتحدث عن حرمة مال اليتيم وحرمة العهد ، ويشدد في مال اليتيم ، ويبرز النهي عن مجرد قربه إلا بالتي هي أحسن ، ذلك أن اليتيم ضعيف عن تدبير ماله ، ضعيف عن الذود عنه ، ومن ثم جاء النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن ، في صيغة الجمع ؛ لتكون الجماعة كلها مسؤولة عن اليتيم ومياله ؛ ولأن رعاية مال اليتيم عهد على الجماعة ألحق به الأمر بالوفاء بالعهد إطلاقا ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولًا ﴾ يسأل الله جل جلاله عن الوفاء ، ويحاسب من ينكث به وينقضه .

ويتنقل السياق في تناسق ملحوظ من الوفاء بالعهد إلى إيفاء الكيل والميزان ، وهذا الإيفاء أمانة في التعامل ونظافة في القلب ، يستقيم بهما التعامل في الجماعة ، وتتوافر بهما الثقة في النفوس ، وتمت بها البركة في الحياة ، وذلك خير في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة .

والعقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة ، فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة ، فالتثبت من كل خبر ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ، ويجعل الإنسان مسؤولا عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد .

وتختتم هذه الأوامر والنواهي المرتبطة بعقيدة التوحيد بالنهي عن الكبر الفارغ والخيلاء الكاذبة ، وهو نهى عن ذميم الأفعال والصفات بإعلان كراهية الله للسيئ منها .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - ينبغي للمؤمن أن يصل رحمه وأن يعطى المحتاجين ، فإن لم يستطع فإنه يردهم بالقول الحسن .

٢ - الإسراف والبخل يؤديان إلى الحسرة والملامة .

٣ - حرص الإسلام على طهارة المجتمع من القبائح والمنكرات ، وصيانه لحقوق الإنسان .

٤ - النهي عن ذميم الفعال والصفات .

معاني الكلمات :

- مدحورا : مطرودا .
 أصفاكم : فضلكم وخصكم .
 صرفنا : كررنا .
 نفورا : تباعدا وإعراضا .
 ابتغوا : طلبوا .
 سبيلا : طريقا .
 حجابا : ساترا .
 أكنة : أغطية .
 وقرا : صمما .
 مسحورا : مغلوبا على عقله بالسحر .
 رفاتا : أجزاء مفتة أو ترابا أو غبارا .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن التوحيد هو عماد الدين وأساسه .
- ٢ - أن نقف على مواعظ القرآن وأمثاله وقصصه للتذكر والاعتبار .
- ٣ - أن نتيقن أن أصحاب الهوى لا يشبتون أمام الحق .

المحتوى التربوي :

تختم الأوامر والنواهي بربطها بالله وعقيدة التوحيد والتحذير من الشرك وهو ختام يشبه الابتداء، فتجىء محبوبة الطرفين، موصولة بالقاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإسلام بناء الحياة، قاعدة توحيد الله وعبادته دون سواه .

وينتقل السياق إلى درس جديد يبدأ وينتهي باستنكار فكرة الولد والشريك ، وبيان ما فيها من اضطراب وتهاوت ، وتقدير وحدة الاتجاه الكوني إلى الخالق الواحد ، ووحدة المصير والرجعة إلى الله في الآخرة ، ووحدة علم الله الشامل بمن في السموات ومن في الأرض ، ووحدة التصرف في شؤون الخلائق بلا معقب ، وإذا كان الله هو واهب البنين والبنات ، فهل أصفاهم بالبنين المفضلين واتخذ لنفسه الإناث المفضولات ؟ ! وهذا ادعاء مستنكر من الأساس ، وقول

عظيم في شناعته وبشاعته ، وعظيم في جرأته ووقاحته ، عظيم في ضخامة الاقتراء فيه ، عظيم في خروجه عن التصور والتصديق .

ويمضى السياق ليقرر أن القرآن قد جاء بالتوحيد ، وسلك إلى تقرير هذه العقيدة وإيضاحها طرفا شتى ، وأساليب متنوعة ، ورسائل متعددة ليذكروا ، فالتوحيد لا يحتاج إلى أكثر من التذکر والرجوع إلى الفطرة ومنطقها ، وإلى الآيات الكونية ودلالاتها ، ولكنهم يزيدون نفوراً كلما سمعوا هذا القرآن . نفوراً من العقيدة التي جاء بها ، ونفوراً من القرآن ذاته خيفة أن يغلبهم على عقائدهم الباطلة التي يستمسكون بها ، عقائد الشرك والوهم والترهات .

ويقرر السياق أن الآلهة لو وجدت فإنها ستحاول أن تتقرب إلى الله وأن تجد لها وسيلة إليه وسبيلا ، والقضية كلها ممنوعة ، وليس هنالك آلهة مع الله - كما يقولون - والآلهة التي يدعونها إن هي إلا خلق من خلق الله .

ثم يرسم السياق للكون كله بما فيه ومن فيه مشهداً فريداً تحت عرش الله ، يتوجه كله إلى الله ، يسبح له ويجد الوسيلة إليه ، وهو تعبير تنبض به كل ذرة في هذا الكون الكبير ، وتتفرض روحاً حية تسبح الله ، فإذا الكون كله حركة وحياة ، وإذا الوجود كله تسبيحة واحدة شجية رخية ، ترتفع في جلال إلى الخالق الواحد الكبير المتعال .

وإنه لمشهد كوني فريد ، حين يتصور القلب ، كل حصاة وكل حجر ، كل حبة وكل ورقة ، كل زهرة وكل ثمرة ، كل نبتة وكل شجرة ، كل حشرة وكل زاحفة ، كل حيوان وكل إنسان ، كل دابة على الأرض وكل سابحة في الماء والهواء ، ومعها سكان السماء ؛ كلها تسبح الله وتتوجه إليه في علاه ، وإن الوجدان ليرتعش وهو يستشعر الحياة تدب في كل ما حوله مما يراه وما لا يراه ، وكلما همت يده أن تلمس شيئاً ، وكلما همت رجله أن تطأ شيئاً سمعه يسبح لله وينبض بالحياة يقول صاحب الظلال : « وحين تشف الروح وتصفو فتسمع لكل متحرك أو ساكن وهو ينبض بالروح ويتوجه بالتسبيح فإنها تنهياً للاتصال بالملأ الأعلى ، وتدرك من أسرار هذا الوجود ما لا يدركه الغافلون ، الذين تحول صفاقة الطين بين قلوبهم وبين الحياة الخفية السارية في ضمير هذا الوجود ، النابضة في كل متحرك وساكن ، وفي كل شيء في هذا الوجود » .

وفي ظل هذا الموكب الكوني المسبح يبدو تقصير البشر وهم أولى من كل شيء في هذا الكون بالتسبيح والتحميد والمعرفة والتوحيد ، ولولا حلم الله وغفرانه لأخذ البشر أخذ عزيز مقتدر .

ويتتابع السياق فيذكر أن القوم كانت تتأثر بالقرآن فطرتهم فيصدونها ، وتجادبهم إليه قلوبهم فيما نعوها ، فجعل الله بينهم وبين الرسول حجاباً خفياً لا يظهر للعيون ولكن تحسه القلوب فإذا هم لا يتفتعون به ، ولا يهتدون بالقرآن الذي يتلوه ، وهكذا كانوا يتناجون بما أصاب قلوبهم من

القرآن ، ثم يتآمرون على عدم الاستماع إليه ، ثم يغلبهم التأثير به فيعودون ، ثم يحتاجون من جديد حتى ليتعاهدون على عدم العودة ليحجزوا أنفسهم عن هذا القرآن المؤثر الجذاب الذى يجلب القلوب والألباب ، ذلك أن عقيدة التوحيد التى يدور عليها هذا القرآن كانت تهددهم فى مكانتهم وفى امتيازاتهم وفى كبرياتهم فينفرون منها .

ولقد كانت الفطرة تدفعهم إلى التسمع والتأثر ، والكبرياء تدفعهم عن التسليم والإذعان ؛ فيطلقون التهم على الرسول ﷺ يعتذرون بها عن المكابرة والعناد ، فهم يستكثرون فى دخيلتهم أن يكون هذا قول بشر ؛ لأنهم يحسون فيه شيئاً غير بشرى ، ويحسون ديبه الخفى فى مشاعرهم فينسبون قائله إلى السحر يرجعون إليه هذه الغرابة فى قوله ، وهذا التميز فى حديثه ، وهذا التفوق فى نظمه ، ولو أنصفوا لقالوا : إنه من عند الله ، فما يمكن أن يقول هذا إنسان ولا خلق آخر من خلق الله . ولو أنصفوا لقالوا إنك رسول ولست بمسحور ولكنهم ضلوا فلم يبتدوا وচারوا فلم يجدوا طريقاً يسلكونه لا إلى الهدى ولا إلى تعليل موقفهم المريب .

ويتنقل السياق إلى تكذيب المشركين بالبعث وكفرهم بالآخرة ، فقد كانت قضية البعث مثار جدل طويل بين الرسول ﷺ والمشركين ، واشتمل القرآن الكريم على الكثير من هذا الجدل مع بساطة هذه القضية ووضوحها عند من يتصور طبيعة الحياة والموت ، وطبيعة البعث والحشر ، ولقد عرضها القرآن الكريم فى هذا الضوء مرات ، ولكن القوم لم يكونوا يتصورونها بهذا الوضوح وبذلك البساطة ، فكان يصعب عليهم تصور البعث بعد البلى والفناء المسلط على الأجسام .

ذلك أنهم لم يكونوا يتدبرون أنهم لم يكونوا أحياء أصلاً ثم كانوا ، وأن النشأة الآخرة ليست أعسر من النشأة الأولى ، وأنه لا شىء أمام القدرة الإلهية أعسر من شىء وأداة الخلق واحدة فى كل شىء كن فيكون ، فيستوى إذن أن يكون الشىء سهلاً ، وأن يكون صعباً فى نظر الناس ، متى توجهت الإرادة الإلهية إليه .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - استنكار فكرة الولد والشريك مع الله ، فالله هو الواحد الأحد .
- ٢ - الكون كله يسبح لله وعلى الإنسان أن ينسجم مع الكون .
- ٣ - لا يتأثر بالقرآن وما فيه من مواعظ وأحكام إلا من هداه الله وشرح صدره للإيمان .
- ٤ - قضية البعث بسيطة عند من يتصور طبيعة الحياة والموت وطبيعة البعث والحشر .

معاني الكلمات :

- يكبر : يعظم .
 فطر : خلق وأبدع .
 ينفضون : يحركون استهزاء .
 ينزع : يفسد ويبيح .
 نحويلا : نقله إلى غيركم ممن لم يعبدكم .
 الوسيلة : القربة بالطاعة والعبادة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم حتمية البعث والجزاء .
 - ٢ - أن نتعرف على الأسلوب الهادئ الخالى من الغلظة والشدة .
 - ٣ - أن نتعلم أن العبادة لا تتم إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف يبتعد الإنسان عما نهى الله عنه ، وبالرجاء يكثر من الطاعات .
 - ٤ - أن نعلم أن ما يقع للناس من إهلاك أو تعذيب أو قتل أو مجاعات أو غيرها ، فإنها يكون ذلك بسبب ذنوبهم .
- المحتوى التربوى :

ينتقل السياق إلى الرد على ذلك التعجب من استبعاد وقوع المعاد فيأمر الله جل جلاله نبيه ﷺ أن يجيهم بأن العظام والرفات فيها الرائحة البشرية وفيها ذكرى الحياة ، والحديد والحجارة أبعد عن الحياة فكونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر أوغل في البعد عن الحياة من الحجارة والحديد مما يكبر في صدوركم أن تتصوروه وقد نفخت فيه الحياة ، فسيبعثكم الله .

وهم لا يملكون أن يكونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر ولكنه قول للتحدى ، وفيه كذلك ظل التوبيخ والتقريع فالحجارة والحديد جماد لا يحس ولا يتأثر ، وفي هذا إيحاء من بعيد إلى ما في تصورهم من جمود وتحجر .

ويمضى السياق فيذكر سؤال المستكرين للبعث من يردنا إلى الحياة إن كنا رفاتا وعظاما ، أو خلقا آخر أشد إيقالا في الموت والحمود ؟

ويأتى الرد فيرجع المشكلة إلى تصور بسيط واضح مريح ، فالذى أنشأهم إنشاء قادر على أن يردهم أحياء ، ولكنهم لا ينتفعون به ولا يقتنعون ويحركون رؤوسهم علواً أو سفلاً ، استنكاراً واستهزاء ، ويتساءلون عن مواعده متى هو ؟ استبعاداً لهذا الحادث واستنكاراً ، وما كان لهم أن يسألوا سؤالهم فهو غيب والغيب لا يعلمه إلا الله وحده ، وما كان للرسول أن يعلم مواعده تحديداً ، ولكن لعله أقرب مما يظنون ، وما أجدرهم أن يخشوا وقوعه وهم في غفلتهم يكذبون ويستهنون .

ثم يرسم السياق مشهداً سريعاً لذلك اليوم ، وهو مشهد يصور أولئك المكذبين بالبعث المنكرين له ، وقد قاموا بلبون دعوة الداعى ، وألستهم تلهج بحمد الله ليس سوى هذه الكلمة من قول ولا جواب!

وهو جواب عجيب ممن كانوا ينكرون اليوم كله وينكرون الله ، فلا يكون لهم جواب إلا أن يقولوا : الحمد لله الحمد لله ! ويومئذ تنطوى الحياة الدنيا كما ينطوى الظل ، وتظنون إن لبثتم في الدنيا إلا قليلاً ، وتصوير الشعور بالدنيا على هذا النحو يصغر من قيمتها في نفوس المخاطبين ، فإذا هى قصيرة قصيرة ، لا يبقى من ظلها في النفس وصورها في الحس ، إلا أنها لمحة مرت وعهد زال وظل تحول ، ومتاع قليل .

ثم يلتفت السياق عن هؤلاء المكذبين بالبعث والنشور ، المستهزئين بوعد الله وقول الرسول ، المنفضين رؤوسهم المتكلمين المتهمجين ، يلتفت عنهم إلى عباد الله المؤمنين ليوجههم الرسول ﷺ أن يقولوا الكلمة الطيبة وينطقوا دائماً بالحسنى ، فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه . بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة .

يقول صاحب الظلال : « الشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء ، والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب ، تندى جفافها ، وتجمعها على الود الكريم ، فالشيطان يتلمس سقطات فمه

وعثرات لسانه فيغرى بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه ، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق ، وتحفظ حرم الأخوة آمناً من نزغاته ونفثاته .

وبعد هذه اللفتة يعود السياق إلى مصائر القوم يوم يدعوهم فيستجيبون بحمده ، فإذا المصير كله بيد الله وحده إن شاء رحم وإن شاء عذب ، وهم متروكون لقضاء الله ، وما الرسول عليهم بوكيل إن هو إلا رسول، والعلم المطلق لله وهو يرتب على كامل علمه بالناس رحمتهم أو عذابهم .
وبهذا العلم المطلق بحقائق الخلائق فضل الله بعض النبيين على بعض ، وهو تفضيل يعلم الله أسبابه ، ويذكر السياق نموذجاً من عطاء الله لأحد أنبيائه وهو من مظاهر التفضيل فقد أتى داود زبوراً ، والكتب أبقى من الخوارق المادية التي يراها بعض الناس في ظرف معين من الزمان .

وينتهى الدرس بتحدى الذين يزعمون الشركاء ، أن يدعوا الآلهة المدعاة إلى كشف الضر عنهم لو شاء الله أن يعذبهم ، أو تحويل العذاب إلى سواهم ، ويقرر لهم أن من يدعوهم آلهة من الملائكة أو الجن أو الإنس إن هم إلا خلق من خلق الله ، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله ويتسابقون إلى رضاه ، ويخافون عذابه الذى يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه ؛ فما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله كما يتوجه إليه من تدعونهم آلهة من دونه وهم عباد الله ، يبتغون رضاه .

وهكذا يبدأ الدرس ويختم ببيان تهافت عقائد الشرك في كل صورها ، وتفرد الله سبحانه بالألوهية والعبادة والاتجاه .

ويستطرد السياق إلى بيان المصير النهائى للبشر جميعاً - كما قدره الله في علمه وقضائه - وهو انتهاء القرى جميعها إلى الموت والهلاك قبل يوم القيامة ، أو وقوع العذاب ببعضها إن ارتكبت ما يستحق العذاب ، فلا يبقى حى إلا ويلقى نهايته على أى الوجهين : الهلاك حتف أنفه أو الهلاك بالعذاب ، فما من قرية إلا وسيهلكها الله ؛ بأن يبيد أهلها جميعاً أو يعذبهم عذاباً شديداً إما بقتل أو ابتلاء بها شاء ، وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم وعدم استجابتهم لنبیهم ﷺ .
ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الله قادر على إعادتنا كما خلقنا أول مرة .

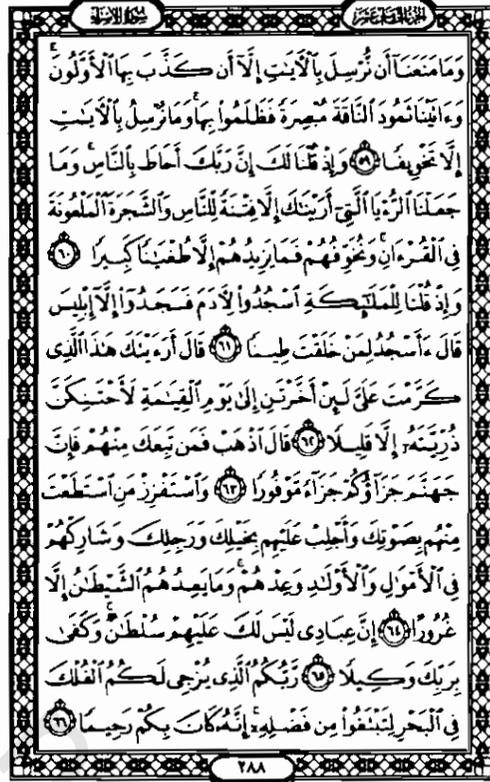
٢ - اختيار أحسن ما يقال ، فالكلمة الطيبة تحفظ حرم الأخوة آمناً .

٣ - على قدر الخوف والرجاء تكون العبادة لله .

٤ - ما ينزل بالناس من العذاب بسبب ظلمهم لأنفسهم .

معاني الكلمات :

- مبصرة : آية بيّنة واضحة .
 أحاط : علّمًا وقدرة فيهم في قبضة الله .
 الشجرة الملعونة : شجرة الزقوم .
 لأحتكن : لأستولين أو لأستأصلن .
 استفزز : استعجل واستخفّ وأزعج .
 أجب عليهم : صح عليهم وسقمهم .
 بخيلك ورجلك : بكل راكب وماشٍ في معاصي الله .
 يزجي : يجري ويسير ويسوق برفق .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن نزول العذاب نتيجة الجحود والتكران .
- ٢ - أن نطلع على الحرب الدائرة علينا من قبل إبليس وأتباعه .
- ٣ - أن نعلم أنه لا سلطان للشيطان على القلب الموصول بالله .
- ٤ - في لحظات الكرب والشدة ينسى كل سند ومجبر إلا الله وحده .

المحتوى التربوي :

قد كانت الخوارق تصاحب الرسالات لتصديق الرسل ، وتخويف الناس من عاقبة التكذيب وهي الهلاك بالعذاب ، ولكن لم يؤمن بهذه الخوارق إلا المستعدة قلوبهم للإيمان ، أما الجاحدون فقد كذبوا بها في زمانهم .

يقول صاحب الأساس : « إن سنة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ، ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال ، وذكر من تلك الآيات التي اقترحها الأولون ، ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا : ناقة صالح لأن آثار هلاك ثمود معروفة معلومة ، وقد ذكر ابن كثير أن

الكوفة قد رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال : يا أيها الناس ، إن ربكم يستعتبكم فأعتبوه . وهكذا روى أن المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات فقال عمر : أحدثتم والله لئن عادت لأفعلن ولأفعلن .

ومن هنا جاءت الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بهذه الخوارق ، فمعجزة الإسراء هي القرآن ، وهو كتاب يرسم منهجا كاملا للحياة ، ويخاطب الفكر والقلب ، ويلبى الفطرة القويمة ، ويبقى مفتوحا للأجيال المتتابعة تقرأه وتؤمن به إلى يوم القيامة ، أما الخارقة المادية فهي تخاطب جيلا واحداً من الناس ، وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل .

وهذه التجارب البشرية التي ضرب السياق المثل لها بشمود ، اقتضت أن تحيء الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بالخوارق ؛ لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعها لا رسالة جيل واحد يراها ، ولأنها رسالة الرشد البشري تخاطب مدارك الإنسان جيلا بعد جيل ، وتحترم إدراكه الذي تتميز به بشريته ، والذي من أجله كرمه الله على كثير من خلقه .

أما الخوارق التي وقعت للرسول صلى الله عليه وسلم وأوها خارقة الإسراء والمعراج ، فلم تتخذ معجزة مصدقة للرسالة ، إنما جعلت فتنة للناس وابتلاء ، فلقد ارتد بعض من كان آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم بعد حادثة الإسراء ، كما ثبت بعضهم وازداد يقينا ، ومن ثم كانت الرؤيا التي أراها الله لعبده فتنة للناس وابتلاء لإيمانهم .

أما إحاطة الله بالناس فقد كانت وعداً من الله لرسوله بالنصر ، وعصمة له من أن تمتد أيديهم إليه ، ولقد أخبرهم بوعده الله له وبما أطلع الله عليه في رؤياه الكاشفة الصادقة ، ومنه شجرة الزقوم التي يخوف الله بها المكذبين .

وفي ظل الرؤيا التي رآها الرسول صلى الله عليه وسلم واطلع فيها على ما اطلع من عوالم ، والشجرة الملعونة التي يطعم منها أتباع الشياطين ، يجيء مشهد إبليس الملعون ، يهدد ويتوعد بإغواء الضالين ، ثم يكشف السياق عن الأسباب الأصلية لضلال الضالين ، فيعرض هذا المشهد هنا ؛ ليحذر الناس وهم يطلعون على أسباب الغواية ، ويرون إبليس عدوهم وعدو أيهم يتهددهم بها عن إصرار سابق قديم ، فحسد إبليس لآدم يجعله يذكر الطين ويغفل نفخة الله في هذا الطين .

ويعرض إبليس بضعف هذا المخلوق واستعداده للغواية ، فيقول في تبجح : أترى هذا المخلوق الذي جعلته أكرم منى عندك ؟ لئن تأخرت إلى يوم القيامة فلاستولين عليهم وأحتويهم وأملك زمامهم وأجعلهم في قبضة يدي أصرف أمرهم .

وتشاء إرادة الله أن يطلق لرسول الشر والغواية الزمام ، يحاول محاولته مع بني الإنسان ، ويمضى السياق فيجسم وسائل الغواية والإحاطة ، والاستيلاء على القلوب والمشاعر والعقول ، فهي المعركة الصاخبة تستخدم فيها الأصوات والخيل والرجل على طريق المعارك والمبارزات

يرسل فيها الصوت فيزعج الخصوم ويخرجهم من مراكزهم الحصينة ، أو يستدرجهم للفتح المنسوب والمكيدة المدبرة ، فإذا استدرجوا إلى العراء أخذتهم الخيل وأحاطت بهم الرجال .

ويتابع السياق رسم صورة المعركة القائمة ، فيصور شركة تقوم بين إبليس وأتباعه تشمل الأموال والأولاد وهما قوام الحياة ، وإبليس مأذون في أن يستخدم وسائله كلها ، ومنها الوعود المغرية الخادعة؛ كالوعد بالإفلات من العقوبة والقصاص، والوعد بالغنى من الأسباب الحرام، والوعد بالغبلة والفوز بالوسائل القذرة والأساليب الخسيسة ، ولعل أشد الوعود إغراء الوعد بالعمو والمغفرة بعد الذنب والخطيئة ، وهي الثغرة التي يدخل منها الشيطان على كثير من القلوب التي يعز عليه غزوها من ناحية المجاهرة بالمعصية والمكابرة ، فيزين لها الخطيئة وهو يلوح بها بسعة الرحمة الإلهية وشمول العفو والمغفرة .

ويجنب السياق أقواما - هم عباد الله أحداث هذه المعركة الصاخبة لأنهم مذودون بحصانة تمنعهم سطوة إبليس .

يقول صاحب الظلال : « فمتى اتصل القلب بالله واتجه إليه بالعبادة ، متى ارتبط بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، متى أيقظ في روحه النفخة العلوية فأشرقت وأنارت ، فلا سلطان - حينئذ - للشيطان على ذلك القلب الموصول بالله ، وهذه الروح المشرقة بنور الإيمان ، والله يعصم وينصر ويبطل كيد الشيطان » .

ثم ينتقل فيعرض مشهد الفلك في البحر نموذجاً للخطاب للحظات الشدة والحرج ؛ لأن الشعور بيد الله في الخضم أقوى وأشد حسامية ، ونقطة من الخشب أو المعدن تائهة في الخضم ، تتقاذفها الأمواج والتيارات والناس متشبون بهذه النقطة على كف الرحمن .

إنه مشهد يحس به من كابده ، ويحس بالقلوب الخائفة الواجفة المتعلقة بكل هزة وكل رجفة في الفلك - صغيراً كان أو كبيراً - حتى عبارات المحيط الجبارة التي تبدو في بعض اللحظات كالريشة في مهب الرياح على ثبج الموج الجبار ، ويشعر الناس أن يد الله تزجي لهم الفلك في البحر وتدفعه لبيتغوا من فضله ، فالرحمة هي أظهر ما تستشعره القلوب في هذا الأوان .
ما ترشدنا إليه الآيات تروياً :

١ - من رحمة الله - تعالى - بعباده أنه يخوفهم ببعض آياته ومظاهر نقمه ليرجعوا إليه تائبين .

٢ - الحسد من الأسباب الأصيلة لضلال الضالين ، فمن أراد الهداية عليه أن يتعد عنه .

٣ - الحذر من الشيطان وإغوائه .

٤ - لا سلطان للشيطان على القلب الموصول بالله .

معاني الكلمات :

- يخسف بكم : يغيب بكم تحت التراب .
- حاصبا : ريحا شديدة ترمى بالحصباء .
- قاصفا : عاصفا شديدا مهلكا .
- تبيعا : نصيراً .
- فتيلا : قدر الخيط المستطيل في شق نواة البلح .
- ليفتونك : ليصرفونك .
- تفترى : تختلق .
- تركن : تميل .
- ضعف الحياة : عذابا مضاعفا في الحياة الدنيا .

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا جَنَّكَ
إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٧٦﴾ فَأَمْسُرْنَا يَخْفَى
بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ وَأُرْسِلْ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
وَكِيلًا ﴿٧٧﴾ فَأَمْسُرْنَا أَنْ يُبْعِدَكُم فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَرُسِلْ
عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا
لَكُمْ عَلَيْهِمْ تَبِيعًا ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ رِزْقًا لَهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٨٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ
بِأَسْمِهِمْ فَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَيِّئِهِ فَأُولَئِكَ يُقْرَءُونَ
كِتَابَهُمْ وَلَا يَرْجِعُونَ فِيهَا ﴿٨١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هُدًى
أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٨٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِغَفَرِيَ عَلَيْكَ غَيْرُهُ
وَإِذَا لَاتَخَذُوا خِيلًا ﴿٨٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُبْنِتَكَ لَفَتَدَكَّرْتَ
تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٨٤﴾ إِذَا لَادَفْنَاكَ ضِعْفَ
الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٨٥﴾

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن من الغفلة أن يعرض البشر عن الله وهم في قبضته في كل لحظة وفي كل بقعة .
- ٢ - أن نقف على تكريم الله لبني آدم .
- ٣ - أن نعرف أن الإنسان يتحمل تبعه اتجاهه وعمله ، ومن العدل أن يلقى ثمرة عمله في دار الحساب .

المحتوى التربوي :

ينتقل السياق من الإجزاء الرخى للاضطراب العتى ، حين ينسى الركب في الفلك المتناوح بين الأمواج كل قوة وكل سند وكل مجير إلا الله ، فيتجهون إليه وحده في لحظة الخطر لا يدعون أحدا سواه ، ولكن الإنسان هو الإنسان، فما إن تنجلي الغمرة وتمس قدما ثبات الأرض من تحته حتى ينسى لحظة الشدة فينسى الله ، وتتقاذفه الأهواء وتجرفه الشهوات ، وتغطي على فطرته التي جلاها الخطر إلا من اتصل قلبه بالله فأشرق واستنار .

وهنا يستجيش السياق وجدان المخاطبين بتصوير الخطر الذي تركوه في البحر وهو يلاحقهم في البر ، أو وهم يعودون إليه في البحر ليشعروا أن الأمن والقرار لا يكونان إلا في جوار الله

وحماه ، لا في البحر ولا في البر ؛ لا في الموجة الرخية والريح المواتية ولا في الملجأ الحصين والمنزل المريح .

ويقرر السياق أن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة ، إنهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر ، فكيف يأمنون ؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البر بزلزال أو بركان ، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله ؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم والماء والطين والأحجار فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلا يحميهم ويدفع عنهم ؟

أم كيف يأمنون أن يردهم الله إلى البحر فيرسل عليهم ريحا قاصفة، تقصف الصواري وتحطم السفين ، فيغرقهم بسبب كفرهم وإعراضهم فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم ؟ ألا إنها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا ، ثم يأمنوا أخذه وكيده وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسون بعد النجاة ، كأنها آخر شدة يمكن أن يأخذهم بها الله .

ويعلن السياق تكريم الله لبنى آدم ، هذا المخلوق البشري على كثير من خلقه ، كرمه بخلقته على تلك الهيئة ، بهذه الفطرة التي تجمع بين الطين والنفخة ، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان ، وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته ، والتي استأهل بها الخلافة في الأرض يغير فيها ويبدل ، ويتيج فيها وينشئ ، ويركب فيها ويحلل ، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة .

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك ؛ وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود ، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق - جل شأنه - تكريم هذا الإنسان ، وكرمه بإعلان هذا التكريم كله في كتابه المنزل من الملأ الأعلى الباقي في الأرض - القرآن .

ويتابع السياق حديثه عن هذا التكريم بأن تم حملهم في البر والبحر بتسخير النواميس وجعلها موافقة لطبيعة الحياة الإنسانية وما ركب فيها من استعدادات ، ولو لم تكن هذه النواميس موافقة للطبيعة البشرية لما قامت الحياة الإنسانية ، وهي ضعيفة ضئيلة بالقياس إلى العوامل الطبيعية في البر والبحر ، ولكن الإنسان مذود بالقدره على الحياة فيها ومذود كذلك بالاستعدادات التي تمكن من استخدامها ، وكله من فضل الله .

والإنسان ينسى ما رزقه الله من الطيبات بطول الألفة ، فلا يذكر الكثير من هذه الطيبات التي رزقها إلا حين يجرمها ، فعندئذ يعرف قيعة ما يستمتع به ، ولكن سرعان ما يعود فينسى ، هذه الشمس ، هذا الهواء ، هذا الماء ، هذه الصحة ، هذه القدرة على الحركة ، هذه الحواس ، هذا العقل ، هذه المطاعم والمشارب والمشاهد ، هذا الكون الطويل العريض الذي استخلف فيه ، وفيه من الطيبات ما لا يحصيه .

هذا الإنسان فضله الله بهذا الاستخلاف في ملك الأرض الطويل العريض ، وبما ركب في فطرتهم من استعدادات تجعل المخلوق الإنساني فذاً بين الخلائق في ملك الله ، ومن التكريم أن

يكون الإنسان قيمياً على نفسه ، محتملاً تبعة اتجاهه وعمله ، فهذه هي الصفة الأولى التي بها كان الإنسان إنساناً ، حرية الاتجاه وفردية التبعة ، وبهذا استخلف في دار العمل ، فمن العدل أن يلقي جزاء اتجاهه وثمره عمله في دار الحساب .

ويصور السياق مشهد الخلائق محشورة، وكل جماعة تنادى بعنوانها باسم المنهج الذي اتبعته ، أو الرسول الذي اقتدت به ، أو الإمام الذي اتثمت به في الحياة الدنيا ؛ تنادى ليسلم لها كتاب عملها وجزائها في الدار الآخرة ، فمن أوتى كتابه بيمينه فهو فرح بكتابه يقرؤه ويتملاه ، ويوفى أجره لا ينقص منه شيئاً ، ولو قدر الخيط الذي يتوسط النواة .

ومن عمى في الدنيا عن دلائل الهدى فهو في الآخرة أعمى عن طريق الخير ، وأشد ضلالاً ، وجزاؤه معروف ، ولكن السياق يرسمه في المشهد المزدحم الهائل ، أعمى ضالاً يتخبط ، لا يجد من يهديه ولا ما يهتدى به ، ويدعه كذلك لا يقرر في شأنه أمراً ؛ لأن مشهد العمى والضلال في ذلك الموقف العصيب هو وحده جزاء مرهوب ، يؤثر في القلوب .

ويتنقل السياق فيعدد محاولات المشركين مع الرسول ﷺ وأدله محاولة فتنته عما أوحى الله إليه ليفترى عليه غيره ، وهو الصادق الأمين .

لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى .. منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بألثمتهم وما كان عليه أبائهم ، ومنها مساومة بعضهم له أن يجعل أرضهم حراماً كالبيت العتيق الذي حرمه الله ، ومنها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء .

والسياق يشير إلى هذه المحاولات ولا يفصلها ؛ ليذكر فضل الله على الرسول في تبييته على الحق ، وعصمته من الفتنة ، ولو تخلى عنه تبييت الله وعصمته لركن إليهم فاتخذوه خليلاً ، وللقى عاقبة الركون إلى فتنة المشركين ، وهي مضاعفة العذاب في الحياة والممات دون أن يجد له نصيراً منهم يعصمه من الله .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - الأمن والقرار لا يكونان إلا في جوار الله وحماه لا في البر ولا في البحر .

٢ - الإنسان ضعيف بالقياس إلى العوامل الطبيعية ، ولكنه مذود بالقدرة على الحياة فيها واستخدامها .

٣ - من العدل أن يلقي الإنسان جزاء اتجاهه وثمره عمله .

٤ - الله - تعالى - تكفل بنصرة نبيه ﷺ وإظهار دينه على من عاداه وخالفه في مشارق الأرض ومغاربها .

معاني الكلمات :

يستفزونك : يستخفونك ويزعجونك .

تحويلاً : تبديلاً وتغييراً .

دلوك الشمس : بعد أو عند زوالها عن كبد السماء .

عسق : ظلمة أو شدة الظلمة .

نافلة : فريضة زائدة .

سلطانا : قهراً وعزاً .

زهم : بطل .

نأى بجانبه : لوى جانبه تكبراً وعناداً .

شاكلته : طريقته .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعرف أن الاتصال بالله هو السلاح الذي يعصم من الفتن ويكفل النصر والسلطان .
- ٢ - أن نعلم أن القرآن شفاء ورحمة لمن يؤمنون به ، وعذاب ونقمة على من يكذبون به .
- ٣ - أن نقف على صفة الإنسان في حالتي الرحمة والعذاب .
- ٤ - أن نعلم أن علم الإنسان ضئيل .

المحتوى التربوي :

هذا الدرس الأخير في سورة الإسراء يقوم على المحور الرئيسي للسورة ، شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه ، والقرآن الذي جاء به وخصائص هذا القرآن .

وقد بدأ بالإشارة إلى محاولات المشركين مع الرسول ليفتنوه عن بعض ما أنزل الله إليه ، وما هموا به من إخراجهم من مكة وعصمة الله له من فتنهم ومن استفزازهم؛ لما سبق في علمه - تعالى - من إمهالهم وعدم أخذهم بعذاب الإبادة كالأمم قبلهم ، ولو أخرجوا الرسول لحاق بهم الهلاك وفقاً لسنة الله التي لا تتبدل مع الذين يخرجون رسلهم من الأقوام .

هذه المحاولات التي عصم الله منها رسوله ، هي محاولات أصحاب السلطان مع أصحاب الدعوات - دائماً ، محاولة إغرائهم لينحرفوا - ولو قليلاً - عن استقامة الدعوة وصلابتها ، ويرضوا بالحلول الوسط التي يغرونهم بها في مقابل مغانم كثيرة .

يقول صاحب الظلال : « المسألة مسألة إيمان بالدعوة كلها ، فالذى ينزل عن جزء منها مهما صغر ، والذى يسكت عن طرف منها مهما ضؤل لا يمكن أن يكون مؤمناً بدعوته حق الإيـان ، فكل جانب من جوانب الدعوة فى نظر المؤمن هو حق كالآخر ، وليس فيها فاضل ومفضول ، وليس فيها ضرورى ونافلة ، وليس فيها ما يمكن الاستغناء عنه ، وهى كل متكامل يفقد خصائصه كلها حين يفقد أحد أجزائه ، كالمركب يفقد خواصه كلها إذا فقد أحد عناصره .

وأصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات فإذا سلّموا فى الجزء فقدوا هيتهم وحصانتهـم ، وعرف المتسلطون أن استمرار المساومة وارتفاع السعر يتتهيان إلى تسليم الصفقة كلها، والتسليم فى جانب - ولو ضئيل - من جوانب الدعوة لكسب أصحاب السلطان إلى صفها- هو هزيمة روحية بالاعتماد على أصحاب السلطان فى نصره الدعوة ، والله وحده هو الذى يعتمد عليه المؤمنون بدعوتهم ، ومتى دبت الهزيمة فى أعماق السريـرة فلن تنقلب الهزيمة نصراً .

لذلك امتن الله على رسوله ﷺ أن ثبته على ما أوحى الله ، وعصمه من فتنة المشركين له ، ووقاه الركون إليهم - ولو قليلا - ورحمه من عاقبة هذا الركون ، وعندما عجز المشركون عن استدراج الرسول ﷺ إلى هذه الفتنة حاولوا استفزازه من الأرض ولكن الله أوحى إليه أن يخرج هو مهاجراً ، ولو أخرجوا الرسول ﷺ عنوة وقسراً لحل بهم الهلاك فهذه سنة الله النافذة ، ولقد جعل الله هذه سنة جارية لا تتحول أمام اعتبار فردى ، وإنما هى سنن مطردة ، ومضت سنة الله فى طريقها لا تتحول .

بعد ذلك يوجه الله رسوله ﷺ إلى الاتصال به ، واستمداد العون منه والمضى فى طريقه بأن يقيم الصلاة ما بين ميل الشمس للغروب وإقبال الليل وظلامه ، ويقرأ قرآن الفجر ، ولهذين الأوانين خاصيتهما ، ولهما وقعهما العميق فى النفس ، فإن مقدم الليل وزحف الظلام كمطلع النور وانكشاف الظلمة كلاهما ينحشع فيه القلب ، وكلاهما مجال للتأمل والتفكر فى نواميس الكون التى لا تغتر لحظة ولا تحتل مرة ، وللقرآن - كما للصلاة - إيقاعه فى الحس فى مطلع الفجر ونداوته ، ونسائته الرخية ، وهدهوته السارب ، وتفتحه بالنور ، ونبضه بالحركة ، وتنفسه بالحياة .

يقول صاحب الظلال : « هذا هو الطريق المؤدى إلى المقام المحمود ، وإذا كان الرسول ﷺ يؤمر بالصلاة والتهجد والقرآن ليعبثه ربه المقام المحمود المأذون له به ، وهو المصطفى المختار ، فما أحوج الآخرين إلى هذه الوسائل لينالوا المقام المأذون لهم به فى درجاتهم ، فهذا هو الطريق ، وهذا هو زاد الطريق .

وصاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله ، ولا يمكن أن يُهاب إلا بسلطان الله لا يمكن أن يستظل بحاكم أو ذى جاه فينصره ويمنعه ما لم يكن اتجاهه قبل ذلك إلى الله ، والدعوة قد تغزوا قلوب ذوى السلطان والجاه فيصبحون لها جنداً وخداماً فيفلحون ، ولكنها هى لا تغلب إن كانت من جند السلطان وخدمه ، فهى من أمر الله ، وهى أعلى من ذوى السلطان والجاه ، وبهذا السلطان المستمد من الله ، أعلن مجيء الحق بقوته وصدقته وثباته ، وزهوق الباطل واندحاره وجلاته ، فمن طبيعة الصدق أن يحيا ويثبت ، ومن طبيعة الباطل أن يتوارى ويزهق وإن بدا للنظرة الأولى أن للباطل صولة ودولة ؛ لأنه لا يحمل عناصر البقاء فى ذاته ، إنما يستمد حياته الموقوتة من عوامل خارجية وأسناد غير طبيعية ، فإذا تخلخلت تلك العوامل وهت هذه

الأسناد تهاوى وانهار ، فأما الحق فمن ذاته يستمد عناصر وجوده ، وثباته واطمئنانه يجعل له العقبى ويكفل له البقاء ؛ لأنه من عند الله الذى جعل الحق من أسنانه وهو الحى الباقى الذى لا يزول .

ويمضى السياق فيذكر أن فى القرآن شفاء ، وفى القرآن رحمة لمن خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان ، فأشرقت وتفتحت لتلقى ما فى القرآن من روح ، وطمأنينة واطمئنان ؛ وفى القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة فهو يصل القلب بالله ، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن ، وفى القرآن شفاء من الهوى والدنس والطمع والحسد ونزغات الشيطان ، وفى القرآن شفاء من الاتجاهات المختلة فى الشعور والتفكير ، فهو يعصم العقل من الشطط ، ويطلق له الحرية فى مجالاته المثمرة ، ويكفه عن إنفاق طاقته فيما لا يجدى ، وفى القرآن شفاء من العلل الاجتماعية التى تخلخل بناء الجماعات ، وتذهب بسلامتها وأمنها وطمأنيتها ، فتعيش الجماعة فى ظل نظامه الاجتماعى وعدالته الشاملة فى سلامة وأمن وطمأنينة .

أما الظالمون فهم لا ينتفعون بها فيه من شفاء ورحمة ، وهم فى غيظ وقهر من استعلاء المؤمنين به ، وهم فى الدنيا مغلوبون من أهل القرآن فهم خاسرون ، وفى الآخرة معذبون بكفرهم به فهم خاسرون ، وحين يترك الإنسان لنزعاته واندفاعاته فهو فى حال النعمة متبطر معرض لا يشكر ، وهو فى حال الشدة يائس من رحمة الله ، تظلم فى وجهه فجاج الحياة .

ثم يقرر السياق أن كل فرد وكل فريق يعمل وفق طريقته واتجاهه ، والحكم على الاتجاهات والأعمال موكول لله ، ويأتى السؤال عن الروح ما هو ؟ والمنهج الذى سار عليه القرآن - وهو المنهج الأقوم - أن يجيب الناس عما هم فى حاجة إليه ، فلما سألوه عن الروح أمره الله أن يجيبهم بأن الروح من أمر الله اختص بعلمه دون سواه ، والله يمتن على رسوله ﷺ بهذا الفضل ؛ فضل إنزال الوحي واستبقاء ما أوحى به إليه والمنن على الناس أكبر ، فهم بهذا القرآن فى رحمة وهداية ونعمة ، أجيالا بعد أجيال .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - كل جانب من جوانب الدعوة فى نظر المؤمن هو حق كالآخر ، وليس فيها فاضل ومفضل .

٢ - متى دبت الهزيمة فى أعماق السريرة فلن تنقلب الهزيمة نصراً .

٣ - بالصلاة والقرآن والتهدج به والصلة الدائبة بالله يكون الطريق المؤدية إلى المقام الأسمى عند الله .

٤ - صاحب الدعوة لا يمكن أن يستمد السلطان إلا من الله .

٥ - فى القرآن شفاء ورحمة .

معانى الكلمات :

- ظهيرا : معينا .
 صرفنا : رددنا وكررنا بأساليب مختلفة .
 مثل : معنى غريب بديع .
 كفورا : شديد الجحود للحق .
 ينبوعا : عينا لا يجف ماؤها .
 كسفا : قطعا .
 قبلا : جماعة أو مقابلة وعيانا .
 زخرف : ذهب .
 ترقى : تصعد .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن القرآن - كسائر ما يبدعه الله - يعجز المخلوقون أن يصنعوه أو يضاوهوه .
- ٢ - أن نعرف أن الحارقة ليست من صنع الرسول ولا هي من شأنه ؛ إنما هي من أمر الله .
- ٣ - أن نعلم أن المكابرة تقود إلى الجحود والنكران .

المحتوى التربوي :

وكما أن الروح من الأسرار التي اختص الله بها ، فالقرآن من صنع الله الذي لا يملك الخلق محاكاته ، ولا يملك الإنس والجن - وهما يمثلان الخلق الظاهر والخفى - أن يأتوا بمثله ، ولو تظاهروا وتعاونوا في هذه المحاولة ، فهذا القرآن ليس ألفاظاً وعبارات يحاول الإنس والجن أن يحاكوها ، إنما هو - كسائر ما يبدعه الله يعجز المخلوقون أن يصنعوه ، هو كالروح من أمر الله لا يدرك الخلق سره الشامل الكامل ، وإن أدركوا بعض أوصافه وخصائصه وآثاره .

والقرآن بعد ذلك منهج حياة كامل ، منهج ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تصرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها ، والتي تصرف الجماعات الإنسانية في كل ظروفها وأطوارها ، ومن ثم فهو يعالج النفس المفردة ، ويعالج الجماعة المتشابكة علاجا متكاملا متناسق الخطوات

في كل جانب ، في الوقت الواحد ، فلا يغيب عن حسابه احتمال من الاحتمالات الكثيرة ، ولا ملابسة من الملابس المتعارضة في حياة الفرد وحياة الجماعة ؛ لأن مشرع هذه القوانين هو العليم بالفطرة في كل أحوالها وملابساتها المتشابهة .

أما النظم البشرية فهي متأثرة بقصور الإنسان وملابس حياته ، ومن ثم فهي تقصر عن الإحاطة بجميع الاحتمالات في الوقت الواحد ، وقد تعالج ظاهرة فردية أو اجتماعية بدواء يؤدي بدوره إلى بروز ظاهرة أخرى تحتاج إلى علاج جديد .

إن إعجاز القرآن أبعد مدى من إعجاز نظمه ومعانيه ، وعجز الإنسان والجن عن الإتيان بمثله هو عجز كذلك عن إبداع منهج كمنهجه يحيط بها يحيط به .

ويلتفت السياق إلى إعراض الكافرين وبيان ما في اقتراحاتهم من عنت وجهالة ، وقد كان لهم من خلق رسول الله ﷺ الذي يعرفونه جيداً بالخبرة الطويلة ، ما يدلهم على صدقه وأمانته وهم كانوا يلقبونه الأمين ، ويودعون لديه أماناتهم حتى وهم معه على أشد الخلاف ، وكذلك كان صدقه عندهم مستيقناً كأمانته .

ولا يخفى ما في اقتراح هذه الآيات من الجهل الكبير بسنة الله في خلقه ، وبحكمته وجلاله ، فالذي اقترحه قريش فيها ما أرادوا به مصلحتهم دون مصلحة العباد مما يخالف حكمة الله - تعالى - المقتضية لإخلاء بعض البقاع من العيون النابعة والأنهار الجارية والجنان الناضرة دون بعض ، وإرساء الجبال الشم في موضع دون آخر لمصالح يعلمها هو - جلت عظمتها ، ولا يعلمها الخلق ، فليس مقترحهم هذا من العجز في شيء مع أن مثله لا تثبت به النبوة ، فإننا نعلم أن أناساً قد استنبطوا العيون وغرسوا الجنان من النخيل والأعشاب ونحتوا الجبال ولم يكونوا بذلك أنبياء .

وفيا اقترحه قريش ما يناقض إرادة الله - سبحانه ؛ فإن طلب إنزال السماء قطعاً مقتضى هلاك العالم بحذافيره ، والله يريد إبقاءه إلى أجل معلوم ، وما اقترحوا ما هو مستحيل في نفسه غير ممكن وقوعه أصلاً ؛ وهو طلب الإتيان بالله والملائكة حتى يشاهدتهم المشركون أو غيرهم مما لا يمكن أن يكون فلا يجوز طلبه وليس من أنواع المعجز .

وما اقترحوه ما لا يصلح للأنبياء ، ولو حصل لم يكن معجزاً وهو قولهم وهو طلبهم أن يكون للنبي ﷺ بيت من ذهب ، فإن هذا غير صالح للأنبياء وليس بمعجز لحصول مثله عند أشباه فرعون ، وما اقترحوه ما وعدوا بعدم إيمانهم به لو حصل وأردفوه بما لا يجوز بأن يرقى في السماء ، ولا يكفي أن يعرج إليها وهم ينظرونه ، بل لا بد أن يعود إليهم ومعه كتاب يقرؤون فيه على ما ذكر في الرواية : من الله العظيم إلى فلان وفلان لقوم من قريش بأسائهم ، أما بعد ، فإن محمداً رسولاً فآمنوا به ، والصعود في السماء لا مزية فيه ؛ لأنهم لن يؤمنوا بالصعود هذا ، فلو

كان لكان عبثاً ، وإنزال كتاب عليهم على المعنى المذكور يستلزم جعلهم أنبياء ؛ لأن ذلك وحى مثل التوراة والإنجيل والوحى مختص بالأنبياء ، والكفار عنه معزولون ، فلم يكن شئ مما اقترحوه في الآيات معجزاً ، وإنما هي أمور مستحيلة في نفسها أو لأمر آخر .

وتبدو طفولة الإدراك والتصور ، كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة ، وهم يسوون بين البيت المزخرف والعروج إلى السماء ، أو بين تفجير ينبوع من الأرض وحجى الله - سبحانه - والملائكة قبلاً ، والذي يجمع في تصورهم بين هذه المقترحات كلها هو أنها خوارق ، فإذا جاءهم بها نظروا في الإيثار له والتصديق به ، وغفلوا عن الخارقة الباقية في القرآن ، وهم يعجزون عن الإتيان بمثله في نظمه ومعناه ومنهجه ، ولكنهم لا يلمسون هذا الإعجاز بحواسهم فيطلبون ما تدركه الحواس .

ويبين السياق أن الخارقة ليست من صنع الرسول ، ولا هي من شأنه ، إنما هي من أمر الله - سبحانه - وفق تقديره وحكمته ، وليس من شأن الرسول أن يطلبها إذا لم يعطه الله إياها ، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به ، فهو يقف عند حدود بشريته ، ويعمل وفق تكاليف رسالته ، لا يقترح على الله ولا يتزهد فيها كلفه إياه .

ويمضى السياق ليذكر أن الشبهة التي عرضت للأقوام - من قبل أن يأتيهم محمد ﷺ ومن بعد ما جاءهم ، والتي صدمتهم عن الإيثار بالرسول وما معهم من الهدى - أنهم استبعدوا أن يكون الرسول بشراً ولا يكون ملكاً ، وقد نشأ هذا الوهم من عدم إدراك الناس لقيمة بشرية كرامتها على الله ، فاستكثروا على بشر أن يكون رسولا من عند الله ، كذلك نشأ هذا الوهم من عدم إدراكهم لطبيعة الكون وطبيعة الملائكة ، وأنهم ليسوا مهئين للاستقرار في الأرض وهم في صورتهم الملائكية حتى يميزهم الناس ويستيقنوا أنهم ملائكة .

وما دامت هذه سنة الله في خلقه ، فهو يأمر الرسول ﷺ أن ينهى معهم الجدل ، وأن يكل أمره وأمرهم إلى الله يشهده عليهم ، ويدع له التصرف في أمرهم ، وهو الخبير البصير بالعباد جميعاً ، وهو قول يحمل راحة التهديد .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - القرآن منهج حياة كامل والنظم البشرية متأثرة بقصور الإنسان وملاسات حياته .

٢ - ليس من العقل أن نسعى في طلب ما نعجز عنه .

٣ - المكابرة والعناد يؤديان إلى ضلال سعى الإنسان .

٤ - التفاهم حسب سنة الله لا يتم إلا بين المتجانسين ، فإذا اختلفت الأجناس فلا تفاهم إلا

أن يشاء الله .

معاني الكلمات :

- خبت : سكن لهيها .
 سعيرا : لها وتوقدا .
 رفاتا : أجزاء مفتتة أو غياراً أو ترابا .
 لا ريب : لا شك .
 فتورا : مبالغا في البخل .
 بصائر : بينات تبصر من يشهداها .
 مثبورا : هالكا أو مصروفا عن الخير .
 لفيفا : جميعا مختلطين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نعلم أن الإنسان مهياً للهدى والضلال .
- ٢ - أن نقف على صفة الإنسان من حيث البخل والجزع والهلوع .
- ٣ - أن نعلم أن المؤمن قوى بالحق .
- ٤ - أن نعرف عاقبة الطغيان عندما يفكر في الرد على كلمة الحق .

المحتوى التربوي :

لقد جعل الله للهدى والضلال سنا وترك الناس لهذه السنن يسرون وفقها ، ويتعرضون لعواقبها ، ومن هذه السنن أن الإنسان مهياً للهدى وللضلال وفق ما يحاوله لنفسه من السير في طريق الهدى أو طريق الضلال ، فالذي يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه يهديه الله وهذا هو المهتدى حقاً ؛ لأنه اتبع هدى الله ، والذين يستحقون الضلال بالإعراض عن دلائل الهدى وآياته لا يعصمهم أحد من عذاب الله .

ويرسم السياق عاقبة الضالين في مشهد من مشاهد القيامة مخيف ، فالله - جل جلاله - يحشرهم يوم القيامة في صورة مهينة مزعجة على وجوههم يتكفؤون مطموسين محرومين من جوارحهم التي تهديهم في هذا الزحام - جزاء ما عطلوا هذه الجوارح في الدنيا عن إدراك دلائل الهدى ، ومآواهم جهنم في النهاية ، لا تبرد ولا تفتت .

وهي نهاية مفزعة وجزاء مخيف ، ولكنهم يستحقونه بكفرهم بآيات الله واستنكروا البعث - واستبعدوا وقوعه ، والسياق يعرض هذا المشهد كأنه هو الحاضر الآن ، وكأنها الدنيا التي كانوا فيها قد انطوت صفحاتها ، وصارت ماضيا بعيدا ، وذلك على طريقة القرآن في تجسيم المشاهد وعرضها واقعة حية ، تفعل فعلها في القلوب والمشاعر قبل فوات الأوان .

ثم يعود السياق ليجادلهم بالمنطق الواقعي الذي يرونه فيغفلونه ، فأية غرابة في البعث ؛ والله خالق هذا الكون الهائل قادر على أن يخلق مثلهم ، فهو قادر إذاً على أن يعيدهم أحياء ، وجعل لهم أجلا أنظرهم إليه وأخرهم إلى مواعده ولكن كفروا فكان جزاؤهم عادلا بعد منطق الدلالات ومنطق المشاهدات ، ووضوح الآيات .

ويمضي السياق في رده على أولئك الذين يقترحون على الرسول ﷺ تلك المقترحات المتعنتة ؛ من بيوت الزخرف وجنات النخيل والأعناب والينابيع المتفجرة أنهم بخلاء أشقاء حتى لو أن رحمة الله قد وكلت إليهم خزائنها لأمسكوا وبخلوا خوفا من نفاذها ، ورحمة الله لا تنفذ ولا تغيض .

ويقول القاسمي : « وذكر هذا المعنى في أسلوب بيان ما فطر عليه الإنسان تذكيرا له بنقصه وضعفه ، وإشفاقه وحرصه ليعلم أنه غير مخلوق سدى يخل بينه وبين ما تقاضاه به نفسه وهواه ، والمعنى : أفلا تعتبرون بسعة رحمته وعميم فضله مما يبرهن على وحدانيته في ألوهيته ، ولا ترون ما أنتم عليه من أنكم لو ملكتم ما لا نفاذ له من خزائنه لضننتم بها ، مما يدلكم على أنه هو مالك الملك . »

والله - تعالى - يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه ، فإن البخل والجزع والهلع صفة له ، ورحمة الله وسعت كل شيء ، ولا يخشى نفاذها ولا نقصها ، والله - جل وعز - ينفرد بملك هذه الخزائن كما انفرد بتلك القدرة الباهرة من خلق السموات والأرض ؛ كي تتجلى لهم قدرته العظمى ، وسعة خزائنه الملأى ، فيصلوا بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه الرسول ﷺ وحقيقة ما يدعوهم إليه .

ويتنقل السياق فيذكر أن كثرة الخوارق لا تنشى الإيمان في القلوب الجاحدة ، وما هو ذا موسى قد أوتى تسع آيات بينات . وهى : اليد البيضاء والعصا وما أخذ الله به فرعون وقومه من السنين ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم - ثم كذب بها فرعون وملؤه فحل بهم الهلاك جميعا ، وأسأل بنى إسرائيل فهم شهداء على ما كان بين موسى وفرعون من اتهام الثانى للأول بأنه مغلوب على عقله بالسحر .

يقول صاحب الظلال : « كلمة الحق وتوحيد الله والدعوة إلى ترك الظلم والطغيان والإيذاء لا تصدر فى عرف الطاغية إلا من مسحور لا يدرى ما يقول ، فما يستطيع الطغاة من أمثال فرعون أن يتصوروا هذه المعانى ، ولا أن يرفع أحد رأسه ليتحدث عنها وهو يملك قواه العقلية ، فأما موسى فهو قوى بالحق الذى أرسل به مشرقا منيرا ، مطمئن إلى نصرته الله له وأخذته للطغاة » .

وقد أوتى موسى ~~التي~~ آيات آخر كثيرة ، منها : ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ، وتظليلهم بالغمام ، وإنزال المن والسلوى ، وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ، ولكن ذكر هنا التسع الآيات التى شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخالقوها وعاندوها - كفرأ وجحدأ ، ولهذا قال موسى لفرعون : لقد علمت أن الذى أنزل هذه الآيات التسع رب العالمين رب السموات والأرض بينات مكشوفات ، ولكنك معاند ومكابر ، وإنى لأظنك هالكا ومدمراً جزاء تكذيبك بآيات الله وأنت تعلم أن لا أحد غيره يملك هذه الخوارق .

وعندئذ يلجأ الطاغية إلى قوته المادية ، ويعزم أن يزيلهم من الأرض ويبيدهم ، فكذلك يفكر الطغاة فى الرد على كلمة الحق ، وعندئذ تحق على الطاغية كلمة الله ، وتجرى سنته بإهلاك الظالمين وتوريث المستضعفين الصابرين فكان الإغراق لفرعون ومن معه ، وإسكان الأرض لبنى إسرائيل ، وهكذا كانت عاقبة التكذيب بالآيات ، وهكذا أورث الله الأرض للذين كانوا يستضعفون ، موكولين فيها إلى أعمالهم وسلوكهم - وقد عرفنا كيف كان مصيرهم فى أول السورة - أما هنا فهو يكلمهم هم وأعداءهم إلى جزاء الآخرة .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

- ١ - الذى يستحق هداية الله بمحاولته واتجاهه يهديه الله .
- ٢ - الشح من طبع الإنسان إلا أن يعالجه بالإيمان والتقوى فيقيه الله منه .
- ٣ - المعجزات والخوارق لا تنشى الإيمان فى القلوب الجاحدة .
- ٤ - الله يتنصر لأوليائه ، ويهلك أعداءه .

معانى الكلمات :

فرقناه : فصلناه أو أنزلناه مفرقا .

مكث : تأن وتمهل .

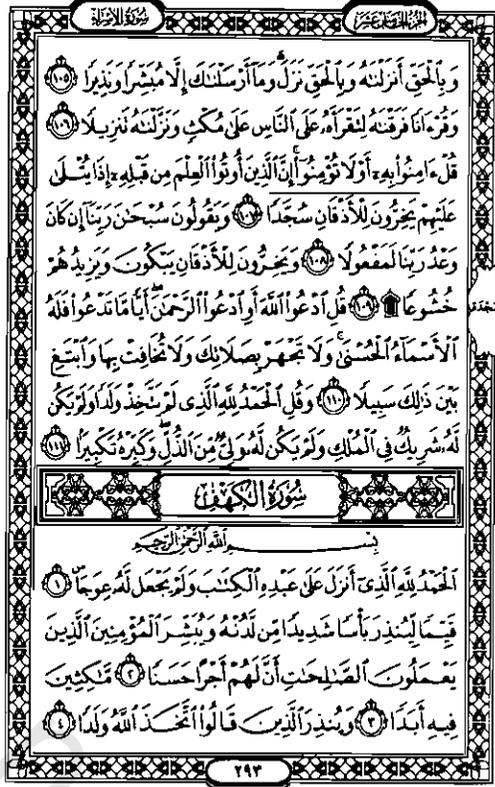
تحافت : تسر .

عوجا : اختلا لا واختلافا وانحرافاً .

قيما : مستقيما معتدلا .

بأسا : عذابا .

ماكثين : باقين .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ - أن نفق على حكمة نزول القرآن مفرقا .

٢ - أن نفق على تأثير القرآن في القلوب المفتحة لاستقبال فيضه .

٣ - أن نعلم أنه لا لبس في العقيدة ولا غموض .

٤ - أن نعلم الغرض من إنزال القرآن الكريم .

المحتوى التربوي :

يبين السياق أن هذا القرآن قد جاء بالحق ليكون آية دائمة ، ونزل مفرقا ليقرأ على مهل في الزمن الطويل ، لقد جاء هذا القرآن ليربى أمة ، ويقم لها نظاما ، فتحمله هذه الأمة إلى مشارق الأرض ومغاريها ، وتعلم به البشرية هذا النظام وفق المنهج الكامل المتكامل ، ومن ثم فقد جاء هذا القرآن مفرقا وفق الحاجات الواقعية لتلك الأمة ، ووفق الملابس التي صاحبت فترة التربية الأولى ، والتربية تتم في الزمن الطويل ، وبالتجربة العملية في الزمن الطويل ، جاء ليكون